"النجاح: هو أن تكون سعيداً في باطن الأرض،

بينما يضج الناس فوقها بكاء لموتك"

- عبدالله الجمعة -

رفيق الحريري (١٩٤٤-٢٠٠٥):

المحاسب البسيط الذي أسس إمبراطوريته الخاصة

ولد رفيق بهاء الحريري في صيدا بلبنان عام ١٩٤٤، وكان والده مزارعاً من المسلمين السنة. وعقب إتمامه تعليمه الثانوي عام ١٩٦٤ التحق الحريري بالجامعة العربية في بيروت حيث درس المحاسبة خلال تلك الحقبة.

كان عضواً نشطاً في حركة القوميين العرب التي كانت في صدارة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش.

في عام ١٩٦٥ قطع الحريري دراسته بسبب النفقات المالية وهاجر إلى السعودية حيث عمل كمدرس للرياضيات في جدة، ثم كمحاسب في شركة هندسية، ثم أنشأ شركته الخاصة للمقاولات عام ١٩٦٩م.

وقد برز دور الشركة كمشارك رئيس في عمليات الإعمار المتسارعة التي كانت المملكة تشهدها في تلك الحقبة. ونمت شركته بسرعة خلال السبعينيات حيث قامت بتنفيذ عدد من التعاقدات الحكومية لبناء المكاتب والمستشفيات والفنادق والقصور الملكية.

وفي أواخر السبعينيات قام الحريري بشراء شركة الإنشاءات الفرنسية الضخمة "أوجير" وأصبح وشركته على قمة إمبراطورية المقاولات في العالم العربي.

ونتيجة لنشاطاته وسمعته الطيبة كلف الحريري ببناء فندق مسرة بالطائف في غضون ستة أشهر لاستضافة القمة الإسلامية.

وقد حظي الحريري باحترام وثقة الأسرة الحاكمة السعودية ومنح الجنسية السعودية عام ١٩٧٨م.

وبحلول مطلع الثمانينيات أصبح الحريري واحدا من أغنى مئة رجل في العالم واتسع نطاق إمبراطوريته ليتضمن شبكة من البنوك والشركات في لبنان والسعودية، إضافة إلى شركات للتأمين والنشر، والصناعات الخفيفة وغيرها.

أما استثماراته في مجال الإعلام فبدأت بتأسيس شبكة تلفاز المستقبل وإذاعة الشرق ومجلة المستقبل وجريدتي صوت العروبة والمستقبل. وامتلاك نسبة من الأسهم في دار النهار.

وفي عام ١٩٧٩ أسس المعهد الإسلامي للدراسات العليا في مسقط رأسه في مدينة صيدا، وفي نفس العام أسس مؤسسة الحريري للثقافة والتعليم العالي التي قامت بسداد تكاليف ومصروفات التعليم لأكثر من ٣٠ ألف تلميذ لبناني في الجامعات اللبنانية، وأوروبا والولايات المتحدة. وفي عام ١٩٨٣ قام ببناء مستشفى ومدرسة ثانوية وجامعة ومركز رياضي كبير في كفر فالوس في لبنان.

كما ساهم الحريري في جهود إعادة إعمار لبنان وكان له دور في تمويل بعض الجماعات المسلحة خلال الحرب.

وقد قيل أيضاً: إن الحريري قام بتمويل ميليشيات متحاربة خلال الحرب الأهلية وهي نفس الميليشيات التي قامت بتدمير وسط بيروت التجاري الذي كان يحلم بإعادة بنائه.

وقد ضخ الحريري أموالا ضخمة في مشروعات إعادة إعمار لبنان بعد الحرب الأهلية التي عاشتها.

وقد تعرض الحريري فيما بعد لانتقادات عديدة، منها اتهامات بالمساهمة في تدمير وسط بيروت من أجل إعادة بنائه والحصول من وراء هذه العملية على مليارات من الدولارات.

وقد عمل الحريري خلال الثمانينيات كمبعوث شخصي للعاهل السعودي الملك فهد في لبنان وكان على رأس جهود الوساطة السعودية.

ومن أهم ما قام به المساهمة في تحقيق مشاركة كل الأطراف المتنازعة في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف عام ١٩٨٣، وكذلك المؤتمر الثاني الذي انعقد في لوزان بسويسرا في العام نفسه.

وبينما ظل ظاهريا مبعوث السعودية إلى لبنان، كان الحريري، الذي أدرك أين يوجد مركز القوة، يمضي في دمشق وقتاً أطول مما يقضي في بيروت.

وقد بذل الحريري جهدا كبيرا في العمل من أجل الحصول على ثقة نظام الأسد في سوريا بعد أن أدرك أن الطريق إلى تحقيق مستقبل سياسي في لبنان يمر عبر سوريا.

وقد شيدت شركة المقاولات التي يمتلكها قصرا رئاسيا في دمشق وقدمتها هدية للرئيس حافظ الأسد (الذي لم يكترث كثيرا بهذا القصر فتحول إلى مركز فخم للمؤتمرات).

وقام الحريري كثيرا بجهود للوساطة بين دمشق والكثير من الشخصيات السياسية اللبنانية خلال العقد الأخير من الحرب الأهلية اللبنانية.

وفي عام ١٩٨٦ كان الحريري وراء عودة الزعيم السابق للقوات اللبنانية "إيلي حبيقة" إلى لبنان ثم قام بتمويل إنشاء ميليشيا مسلحة موالية لسوريا.

ولعب الحريري أيضاً دوراً بارزاً في التوسط بين الرئيس اللبناني الأسبق أمين الجميل والسوريين، الذين كانوا يقضون بانتظام على كل مبادرة لتحقيق المصالحة الوطنية في لبنان لا تمنح سوريا وجودا أساسيا كاسحا هناك.

وفي خريف عام ١٩٨٥ سعى الحريري - دون نجاح - إلى الحصول على موافقة الرئيس الجميل على ما يسمى بالاتفاق الثلاثي الذي كان سيرسي أساسا شرعيا للاحتلال السوري للبنان.

وفي أغسطس ١٩٨٧ قام الحريري بمبادرة جريئة لتحقيق تقارب بين الجميل والسوريين.

وفي خريف سنة ١٩٧٧ نشبت أزمة سياسية في البلاد حينما رفضت الميليشيات اللبنانية بدعم سوري السماح لبرلمانيين بالاجتماع لانتخاب رئيس جديد.

وعينه الجميل مشرفا عسكريا ليتولى مهام الرئاسة لحين انتخاب رئيس، قبل انتهاء فترته الرئاسية بخمس عشرة دقيقة.

وفي تلك الأثناء، حاول العماد ميشيل عون رئيس الوزراء المؤقت، إخراج القوات السورية من لبنان.

وباءت محاولة عون بالفشل مما زاد الموقف تعقيدا.

وساهم الحريري في إنجاح مساع لعقد مؤتمر مصالحة وطنية بين البرلمانيين اللبنانيين في الطائف بالسعودية.

وأقنع الحريري، بمساعدة سعودية، المجتمعين بقبول الوجود العسكري السوري على الأراضي اللبنانية.

وفي أكتوبر تشرين أول من عام ١٩٩٠، قامت القوات السورية باجتياح بيروت، فبدأ الحريري مفاوضات مع الحكومة التي وضعتها سوريا لإعادة إعمار لبنان.

واتهم الحريريَّ معارضوه بأنه رشى مسؤولين كبار في الحكومة وبأنه أهدى منزلا فخما للرئيس إلياس الهراوي.

وبحلول عام ١٩٩٢، كان الحريري قد اشترى أسهما كثيرة جدا في عدة محطات تلفزيون وإذاعة وصحف لبنانية عدة وصار اسمه يقترن بـ"منقذ لبنان".

وأطلقت دمشق يد حزب الله في صيف ١٩٩١ لكي يشن هجمات متكررة على إسرائيل، ومع الهجمات الانتقامية الإسرائيلية قبل غزو الجنوب، تدهور الاقتصاد اللبناني.

وفي الشهور الأولى من عام وقبل تولي الحريري رئاسة الوزارة ١٩٩٢، انهارت الليرة لتسجل ٢٠٠٠ إلى واحد أمام الدولار.

وأدى انهيار الاقتصاد اللبناني السريع إلى مشاكل اجتماعية ومظاهرات بسبب البطالة مما أدى إلى شلل مظاهر الحياة في لبنان.

وفي تلك الأثناء بدأ الحريري يعلن عن "المصير المشترك" بين بيروت ودمشق مما جعل تلك الأخيرة تتخلى عن ترددها في تسليم مفاتيح السلطة لذلك البليونير الطموح.

وبعد أن لعب الحريري دورا محوريا في الإشراف على العملية الانتخابية سنة ١٩٩٢ بحيث يأتي البرلمان مؤيدا لدمشق، دعمت دمشق تعيين الحريري رئيساً للوزراء.

وزارة الحريري الأولى ١٩٩٢ - ١٩٩٨م:

قوبل تعيين الحريري رئيسا للوزراء بحماس كبير من غالبية اللبنانيين، وخلال أيام ارتفعت قيمة العملة اللبنانية بنسبة ١٥٪.

وقد تعهد الحريري بإعادة لبنان إلى ازدهارها السابق قبل الحرب كمركز للتجارة والنشاطات المصرفية لتصبح سنغافورة الشرق الأوسط، وقام بتخفيض الضرائب على الدخل إلى ١٠٪ فقط. وقام باقتراض مليارات الدولارات لإعادة تأهيل البنية التحتية والمرافق اللبنانية، وتركزت خطته التي عرفت باسم "هورايزون ٢٠٠٠ "على إعادة بناء بيروت على حساب بقية مناطق لبنان.

خلال مدّة رئاسته الأولى ارتفعت نسبة النمو في لبنان إلى ٨٪ عام ١٩٩٤ وانخفض التضخم من ١٣١٪ إلى ٢٩٪ واستقرت أسعار صرف الليرة اللبنانية.

وزارة الحريري الثانية ٢٠٠٠ - ٢٠٠٤م:

أدى عمق المشكلات الاقتصادية إلى زيادة الضغوط على وزارة الحريري الثانية من قبل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وعليه تعهد بتخفيض البيروقراطية وخصخصة المؤسسات العامة التي لا تحقق ربحاً.

واستقال الحريري في أكتوبر عام ٢٠٠٤ بعد خلاف مع الرئيس اللبناني إيميل لحود بشأن الموقف من الوجود السوري في لبنان.

فقد غير موقفه مؤخرا بعد أن أصبح زعيما للمعارضة حيث أصبح يعارض الوجود السوري على الأراضي اللبنانية، وقد نشب الخلاف بعد أن عارض الحريري فكرة تعديل الدستور لتمديد فترة رئاسة الرئيس لحود لثلاث سنوات إضافية.

. حاز الحريري كثيراً من الأوسمة منها: وسام جوقة الشرف الفرنسية ١٩٨١م، وسام الأرز اللبناني ١٩٨٣م، وسام الملك فيصل ١٩٨٣م، وسام محرر الأرجنتين ١٩٩٥م، وسام العرش الأكبر من المغرب ١٩٩٧م.

تزوج الحريري السيدة نازك عودة (نازك الحريري فيما بعد) عام ١٩٦٥م وأنجب منها سبعة أبناء.

- آخر صورة التقطت للحريري قبيل اغتياله -

- صورة الانفجار الآثم الذي أودى بحياة الحريري -

تمّ اغتياله في ١٤ فبراير ٢٠٠٥ عندما انفجر ما يعادل ١٠٠٠ كغم من مادة (TNT) عند مرور موكبه بجانب فندق سانت جورج في العاصمة اللبنانية بيروت.

تحملت سوريا جزءًا من غضب الشارع اللبناني والدولي وذلك بسبب الوجود السوري العسكري والاستخباراتي في لبنان، وكذلك بسبب الخلاف بين الحريري وسوريا قبل تقديم الحريري لاستقالته.

قامت لجنة من الأمم المتحدة بقيادة ديتليف ميليس بالتحقيق في الحادث، حيث أشار التقرير إلى إمكانية تورط عناصر رسمية سورية وأفراد من الأمن اللبناني. ويتولى التحقيق الآن سيرج براميرتز. ويشار أن رفيق الحريري كان متمسكًا بالقرار ١٥٥٩ الصادر من مجلس الأمن ويعتقد أن سبب اغتياله تمسكه به.

وقد انفجر الشارع اللبناني بعد اغتياله بشكل لم يسبق له مثيل، ولا تزال تداعيات اغتياله المباشرة وغير المباشرة قائمةً حتى كتابة هذا الكتاب.